الفصل الأول

ظهور الإسلام وفتح مصر

• ظهور الإسلام:

ولد النبي محمد ﷺبمكة في العام الذي أطلق عليه العرب عام الفيل والأرجح عندنا أنه عام 570م

ويمتد نسبه ﷺإلى قبيلة قريش واحدة من أشهر قبائل العرب وأوسطها نسبًا، ورغم أنهم عرفوه بالصدق والأمانة طوال حياته، إلَّا أنهم كذبوه ولم يؤمن منهم الا القليل.

وقصة انتشار الإسلام ليست مجال بحثنا هذا، وهي تحتاج إلى مجلدات عدة، وعلى أي حال فقد هاجر النبي ﷺمن مكة إلى المدينة المنورة والتي كانت تعرف باسم يثرب، وأدت الهجرة النبوية الشريفة إلى قيام الدولة الإسلامية التي أصبحت المدينة عاصمتها السياسية،وأصبح ﷺأول رئيس لهذه الدولة.

بـدأ الإسـلام ينتشر بين قبـائل العرب بشكل تدريجي، وبـدأ المسلمون يوجهون أنظارهم لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع الأرض، في الوقت نفسه الذي واجهت فيه الدعوة الإسلامية أخطارًا جمّة، ولعل أبرزهـا كفـار قريش وغيرهـا من قبـائل العرب، وكذلك مؤامرات يهود المدينة ضد النبي والإسلام.

في ظل هذا وذاك مـا كـان للمسلمين من بُد إلَّا وضع النواة الأولى لأول جيش إسلامي وكان النبي ﷺهو القائد الأعلى لهذا الجيش.

دارت عدة غزوات ومعارك، ووجهت العديد من السرايا بـأمر من النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وكان أول الغزوات هي غزوة بدر والتي حدثت في العام الثاني من الهجرة، ومن أشهرهـا أيضًـا غزوة بني قينقـاع، وغزوة أحد، ثم غزوة الخندق (الأحزاب)، وغيرهـا.

إلَّا أن العام السادس من الهجرة يعتبر عامـا فارقـا في تـاريخ الإسلام، بل في تـاريخ البشرية كلها، دون مبـالغة في ذلك، هذا لأن العام السادس من الهجرة قد شهد عقد النبي صلحًـا مع كفـار قريش عرف بـاسم صلح الحديبية نسبة للمكان الذي عقد فيه هذا الصلح، وكان لهذا الصلح العديد من البنود أهمها البند الذي نص على هدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات.

ونرى أهمية هذا البند في أنه فتح المجال أمام الدعوة الإسلامية للانتشار خارج شبه الجزيرة العربية، وما لبث النبي ﷺ بعد عقد الصلح إلَّا وقد أرسل الرسل شرقا وغربا إلى الدول والولايات والامارات الموجودة خارج شبه الجزيرة العربية يدعوهم إلى عبادة الله الواحد والدخول في الإسلام.

فأرسل إلى كسرى الفرس (ايران)، وأرسل إلى إمبراطور الروم (الدولة البيزنطية)، وعظيم القبط (حاكم مصر من قبل هرقل إمبراطور الروم).

وقد جاء في خطاب النبي ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر ما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فاني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك اثم الأريسيين، "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (سورة آل عمران)(64)

ويبدو أن النبي ﷺ قصد بالأريسيين هنا الأقباط المسيحيين الذين كانوا على مذهب أريوس.

على أي حال استقبل المقوقس رسول النبي ورسالته استقبالًا حسنًا، وأجابه بكتاب جاء فيه:

"إلى محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط في مصر. سلام: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا قد بقى وكنت أظن أنه يبعث من الشام، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج من جزيرة العرب في أرض جدب وبؤس والقبط لاتطاوعني في اتباعه".

وأرسل المقوقس للرسول هدية تشتمل على كسوة وبغلة بسرجها وجاريتان، أحدهما مارية التي أنجب منها النبي ﷺ ولده ابراهيم، والأخرى شيرين أهداها الرسول إلى شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه فأنجب منها عبد الرحمن.[1]

وفي شهر ربيع الأول للعام الحادي عشر من الهجرة توفي النبي بعد أن أوصى بمصر وأهلها خيرًا مبشرًا بفتحها القريب، وبوفاته، استحدث المسلمون نظاما جديدًا في الحكم قائم على الشورى عرف باسم (الخلافة الإسلامية).

وقد اجتمع أهل العلم على تسمية الفترة التاريخية التي أعقبت

1- (1) مصر الإسلامية – أ.د. عصام الدين عبد الرءوف الفقي –ص10

وفاة النبي ﷺوحتى وفاة ربيبه وابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، في العام الأربعين من الهجرة باسم الخلافة الراشدة.

وقد توالى على منصب الخليفة في هذه الفترة أربعة من خير أصحاب الرسولﷺوالذين بشروا بالجنة، وهم على الترتيب:

1. أبو بكر الصديق (11–13هجرية)
2. عمر بن الخطاب (13–23هجرية) وقد شهد عصره فتح مصر
3. عثمان بن عفان (23–35هجرية)
4. علي بن أبي طالب (35–40هجرية)

أما عن عصر الخليفة الصديق، فقد انشغل بتثبيت أركان الدولة، ومحاربة القبائل التي ارتدت عن الإسلام بالإضافة إلى قِصر فترة خلافته، لذلك لم تصل الفتوحات الإسلامية في عصره إلى مصر.

• فتح مصر 641م:

اهتم المسلمون بفتح مصر لعدة أسباب لعل أهمها، هي:

1. موقع مصر الاستراتيجي، حيث أن السيطرة عليها يتيح لهم تأمين فتوحاتهم في الشام، وكذلك نشر الإسلام في ساحل القارة الإفريقية الشمالي المطل على البحر المتوسط، ومنه إلى كل القارة الإفريقية.
2. وفرة الموارد الاقتصادية في مصر وأهمها نهر النيل وتربتها

الخصبة الصالحة للزراعة، وغيرها من موارد.

3. تحكم مصر في طرق تجارية مهمة بين الشرق والغرب.
4. القهر والظلم الذي كان يعاني منه الشعب المصري من قبل الحكام الرومان.

استغل القائد المسلم عمرو بن العاص السهمي (أحد القادة الذين ساهموا في فتوحات الشام) فرصة وجود الخليفة عمر بن الخطاب في الشام وعرض عليه أمر فتح مصر، إلَّا أن الخليفة عمر بن الخطاب تردد في بادئ الأمر حتى لا يفتح جبهة جديدة للقتال مع الروم بالإضافة لانشغال جزء كبير من جيش الدولة الإسلامية في قتال الفرس شرقا.

إلَّا أن عمرو بن العاص ألح على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وظل يبين له أهمية ذلك، حتى رضي الخليفة وأمده بجيش قوامه بين الثلاثة والأربعة ألاف مقاتل.

أما عن خط سير الجيش الإسلامي الفاتح لمصر من جهة الشرق فكان على النحو التالي:

- في 18 هجرية الموافق 639م استطاع عمرو بن العاص فتح العريش دون مقاومة في أوائل ذي الحجة في عيد الأضحى.
- واصل عمرو بن العاص الزحف حتى وصل إلى محل يقال له الفرما، وهو المعروف الأن بمدينة بورسعيد، وقد لقى مساعدة

عظيمة من القبط الذين أرادوا مساعدة العرب لهم في التخلص من ظلم الروم.

- اتجه عمرو بن العاص إلى بلبيس بالشرقية، وهزم القائد البيزنطي الشهير (أرطبون) حتى استولى على كل بلبيس في أقل من شهر، ويقال أنه وجد ابنة المقوقس في بلبيس فأرسلها إلى أبيها معززة مكرمة.
- بعد أن جاءت الإمدادات، اتجه عمرو بن العاص إلى قرية يقال لها أم دنين (الأزبكية) واستولى عليها، ثم واصل زحفه إلى حصن بابليون الذي مازال له آثار في حي مصر القديمة إلى يومنا هذا.
- ظل حصار الحصن أسابيع طويلة حتى سقط الحصن واستسلم للمسلمين، ثم واصل عمرو بن العاص الفتح حتى أتم فتح الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الحين، ثم الدلتا والصعيد.

ومن الجدير بالذكر أن الأقباط في مصر كانوا خير عون للمسلمين الفاتحين ضد المحتل البيزنطي الغاصب، وعلى أي حال أصبحت مصر ولاية إسلامية، وبمرور الزمن دخل المصريون في الإسلام، واندمجوا في الثقافة العربية.